الفصل السابع والعشرون

﴿ الشم والذوق واللمس ﴾

لا يستعمل الإنسان حاسة الشم كثيراً، ولا هو يحتاج اليها حاجة الحيوان الذى يصيد كالكلب ولا حاجة الحيوان الذى يصاد كالغزال

ومع ذلك فقد جعل الله سبحانه وتعالى للإنسان حاسة الشم ليتمتع برائحة الأزهار يتسلى بها وليعرف الأشياء الضارة كانسداد البلاليع فى البيت وفساد الطعام

ولعلك تذكر ما قلته لك من أن حاسة الشم هى فى الجزء العلوى من الأنف . كما فى الشكل الرابع عشر بعد المائة . ولذلك لا تستطيع إلاَّ شم الهواء الذى يصعد إلى هذا الجزء ، وهذا هو سبب استنشاقك الهواء بشىء من العنف دفعات متوالية ، عند شم أى شىء . ومتى وصل الهواء إلى الخلايا الصغيرة فى هذا الجزء عرفت الرائحة أهى حسنة أم رديئة فأرسلت أخباراً إلى المخ عن طريق كثير من الأسلاك البرقية ، التى تراها ظاهرة فى الشكل ، والتى تدخل علبة الجمجمة خلال ثقوب كثيرة فى العظم

وإذا قطعت هذه الأسلاك لا يستطيع الإنسان أن يشم شيئًا، كما إذا قطعت أسلاك البصر فانهُ لا يبصر، وكما إذا قطعت أسلاك

السمع فانهُ لا يسمع . وكثير من جرحى الحرب الكبرى فقدوا حاسة الشم بهذا السبب

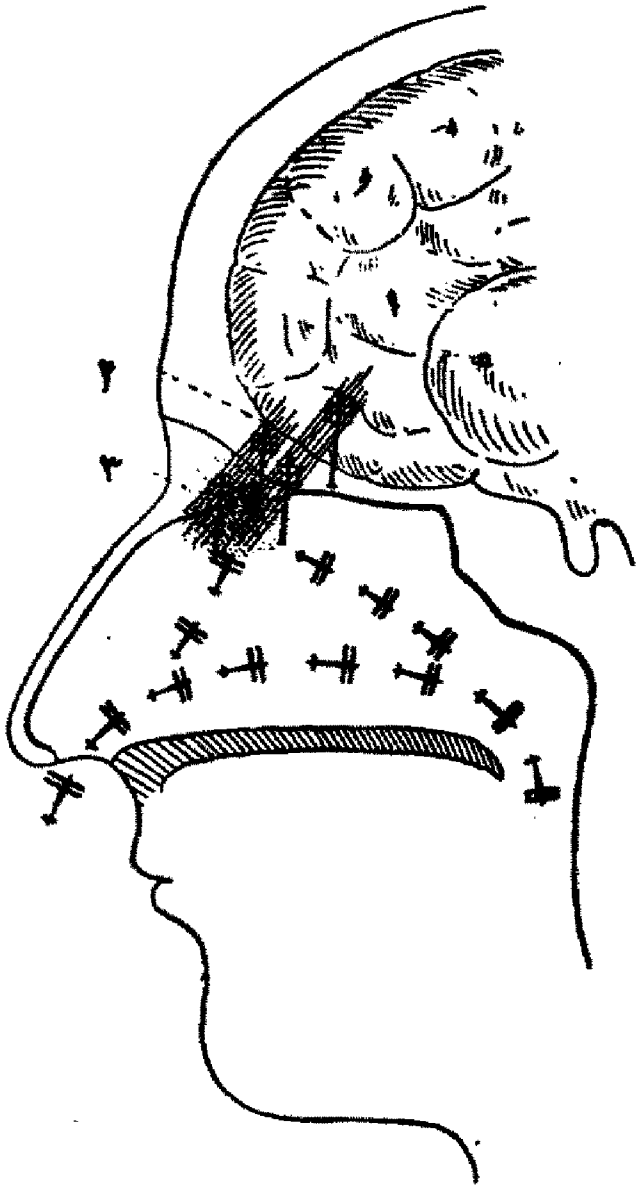

(شكل ١١٤)

الاسلاك البرقية ما بين المخ وجزء الشم من الانف

١ — المخ

٢ — الاسلاك ذاهبة الى المخ

٣ — جزء الشم من الانف

والمشمومات مختلفات ، فمنها ما هو جيد الرائحة ، ومنها ما هو رديئها ، ومنها ما هو حاد الرائحة ، ومنها ما هو خفيفها . ومنها ما يسلي وينعش الفؤاد كرائحة الأزهار ذات الرائحة الجميلة ، ومنها ما ينبه فينا

شهوة الطعام كرائحة الأكل ومنها ما يحذرنا من الخطر كرائحة غاز الاستصباح وغاز البلاليع . ولا شك ان المخ يعرف كل ذلك فيرسل الأوامر حسب ما تقتضيه الظروف

ومن الغريب ان الذاكرة تحفظ الروائح اكثر مما تحفظ غيرها. وقد تذكرنا رائحة زهرة شيئًا يتعلق بها مضى عليه زمن طويل وان كنا لا نذكر الأشخاص الذين عرفناهم فى ذلك الوقت

وكشافة الشم تشبه كشافة الذوق من جملة وجوه . فإذا كانت رائحة الطعام جيدة فالأغلب أن يكون طعمه جيداً . ولكن الذوق لا شأن له إلاّ بالطعام على غير ما هى الحال فى الشم إذ يكون لأشياء مختلفة

ويمكنك أن تحسب كشافة الذوق كالشرطى القائم فى الفم يمنعنا من تناول ما هو ضار بنا . فكل مراكب الطعام لا بد أن تمر على هذا الشرطى فإذا لم تعجبه شحنتها منعها من النزول إلى المعدة

فإذا تناولت شيئًا رديئًا من اللحم أو الزبدة وجده الذوق رديئًا فمنعك من مواصلة التناول . أما إذا كان الطعم لذيذاً فالأغلب أن تطلب منه المزيد

وليست هذه القاعدة مطردة . فمن الأشياء ما هو لذيذ الطعم جداً وهو ضار كالحلويات . على أن الأفضل ألا تتناول من الأشياء ما يمجه ذوقك لأنك لا تستمرئه ويكون على معدتك ثقيلاً

وقلما يهتم الناس بذلك مع أن الطعام اللذيذ يكون خفيفًا على المعدة سهل الهضم على غير ما هى الحال إذا عافاه الإنسان وتوجره

ولعلك لاحظت أنك، فى أثناء المرض، تكره الطعام ولا تطلبه. والمعتاد أن يكون ذلك فى مصلحتك. ومن الخطأ أن تأكل بغير أن تشتهى الأكل فلا خوف على الإنسان من الامتناع عن الأكل يومًا أو أكثر، فى أحوال المرض. ولتعلم أنه لا يموت من الصيام هذه المدة

وأين موضع الذوق؟ فى اللسان؛ ففيهِ أشياء صغيرة تسمى «براعم الذوق» وهى مؤلفة من مئات من الخلايا متصلة بالمخ باسلاك برقية. ويقال إن براعم الذوق قد توجد فى جانبي الفم فى الفك الأعلى وبراعم الذوق هى التى تخبر المخ عن الطعام المتناول أهو لذيذ أم لا

ولا تحسبن أن هذه البراعم هى التى تخبر المخ بحرارة المأكولات أو المشروبات. فهى لا تقوم بهذا العمل. لكن اللسان يشعر بالسخونة والبرودة كما يشعر سائر الجسم. وكذلك إذا وخزتك شوكة سمكة فى أثناء الأكل، فلسانك يشعر بالوخز كما تشعر بالوخز فى أى موضع من جلدك

فالشعور بالحرارة والوخز من عمل الحاسة الخامسة وهى حاسة اللمس. وهى اكبر الحواس لأن البصر بالعينين، والسمع بالأذنين،

والشم بالأنف ، والذوق باللسان أو الفم . أما اللمس فبالجلد و بالفم والأنف و بالجوف ولكن بشكل خاص

وتختلف حاسة اللمس باختلاف المواضع . فإذا وضعت دبوس الشعر « فوركيتة » على طرف أصبعك شعرت بطرفى الدبوس شعوراً واضحاً . لكنك إذا وضعت هذا الدبوس على خلف الرسغ وأقفلت عينيك لم تستطع أن تميز الطرفين ، لأنك لا تحس إلاَّ بطرف واحد

وأقوى مواضع الجسم احساساً هو أسلة اللسان أى طرفه ، فالبنان أى طرف الأصابع . وأضعف مواضع الجسم احساساً أعلى العضدين وأسفل الكتفين

بحاسة اللمس يمكنك أن تعرف الملموس أهو ناعم أم خشن ، أمستدير أم مربع وهكذا ؛ لان خلايا الجلد متصلة بالمخ بالأسلاك البرقية التى تخبره بكل ذلك

وكذلك يمكنك ، بحاسة اللمس ، أن تعرف الملموس أهو ساخن أم بارد ، أهو جاف أم رطب ، أهو رخو أم صلب . ومن ذلك يتضح لك أن حاسة اللمس كسائر الحواس غرابة وكمالاً . وعليك ألا تنسى ان الشعور باللمس هو فى المخ لا فى البنان مثلاً كما ان البصر فى المخ لا فى العينين ولذا يمكننا ان نذكر إذا أردنا أى شىء عرفناه بطريق الحواس .

ولتعلم ان حاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس ، إن كل هذه الحواس تختلف باختلاف الأشخاص ، وتختلف اختلافاً عظيماً فى أنواع الحيوان . فحاسة الشم أقوى فى الكلب منها فى الانسان ، على ان الكلب لا يحس جيداً بجلده ، فحاسة اللمس اقوى فى الانسان منها فى الكلب .

كذب الحواس .

يقولون فى البلاغة « إن الخبر هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته . أى ما يحتملهما بالنظر اليه بنفسه مع قطع النظر عن قائله احترازاً عن كلام الله والأنبياء ونحوهم ممن لا شك فى اخباره ؛ فانه لا يحتمل الصدق والكذب ، ولكن باعتبار قائله ؛ لأنه لا يمكن ان يكون كاذباً ، لا باعتبار نفسه ؛ لأنه لو كان قائله ممن يمكن أن يكون كاذباً لكان يحتمل الصدق والكذب . ولذلك قيدوا احتماله لهما بقولهم لذاته » .

وكذلك أخبار الاعصاب فانها تحتمل الصدق والكذب مما معناه أن الحواس تكذب احياناً فى أخبارها . فقد ترى شيئاً غير موجود ، وذلك كما ترى نفسك فى المرآة لأنك لست فيها . ومن كذب البصر رؤيتك النجم صغيراً وهو كبير على حد قول المعرى :

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للعين لا للنجم فى صغر

وذكر الشارح فى شرحه « يقول الذنب فى استصغار البصر للنجم يحال على قصور العين وعجزها عن ادراكه كما هو عليه لا أن النجم فى جرمه صغير » والصحيح ان لا ذنب للعين فى ذلك ولا للنجم ؛ وانما الذنب للمسافة البعيدة التى بينهما بحيث يستحيل على العين مهما كانت قوتها ان تبصره إلاَّ كذلك .

واذا أصابك « برد فى الرأس » فقد تسمع بأذنيك اصواتًا غير حقيقية أى لا أثر لها .

وفى بعض الأمراض قد يشم الانسان روائح غير موجودة ، وقد يلمس الانسان اشياء وهمية ، وقد يذوق ، كذلك ، اشياء وهمية .

فهذه كلها أمثلة تتأدى فيها أخبار الحواس إلى المخ كاذبة ؛ مما يجعله يتلقى ما يصل اليه من الأخبار بشىء من التحفظ . فالكشافة التى توصل الأخبار إلى المخ حكمهم حكم سائر البشر تحتمل اقوالهم الصدق والكذب .